الخطاب النبوي في أوقات الأزمات: نموذج للأمن النفسي والاجتماعي

The Prophetic Discourse in Times of Crisis: A Model for Psychological and Social Security

أ.م.د. بشرى خالد محمد

الملخص

تناول هذا البحث الخطاب النبوي في أوقات الأزمات باعتباره نموذجًا متكاملاً في تعزيز الأمن النفسي والاجتماعي، وذلك من خلال دراسة تحليلية لمجموعة من المواقف النبوية التي واجه فيها النبي محمد ﷺ الأزمات النفسية والاجتماعية، مثل الحروب، الفتن، الكوارث، والشدائد الفردية.

يركّز البحث على الأدوات التي استخدمها النبي ﷺ في تهدئة النفوس، وبثّ الطمأنينة، وتحفيز الصبر والأمل، مع تحليل لغوي ونفسي لبعض الأحاديث والخطب.

كما يُقارن البحث بين الخطاب النبوي ومفاهيم الدعم النفسي في علم النفس الحديث، ليكشف عن أوجه التشابه، وما يميّز السنة النبوية من عمق روحي وواقعي.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز فاعلية السنة النبوية في تقديم حلول للأزمات النفسية والاجتماعية التي يعاني منها الإنسان المعاصر، مؤكدًا أن الخطاب النبوي لا يزال صالحًا للتطبيق كمنهج وقائي وعلاجي في المجتمعات الحديثة.

Abstract

This research explores the *Prophetic discourse during times of crisis* as a comprehensive model for promoting psychological and social security. It presents an analytical study of several situations in which the Prophet Muhammad ﷺ faced psychological and social crises, such as wars, civil strife, disasters, and individual hardships.

The study focuses on the tools employed by the Prophet ﷺ to calm the hearts, instill reassurance, and inspire patience and hope. It includes linguistic and psychological analyses of selected hadiths and sermons.

The research also compares the Prophetic discourse with the concept of psychological support in modern psychology, highlighting points of convergence and what distinguishes the Sunnah through its spiritual depth and practical realism.

This study aims to demonstrate the effectiveness of the Prophetic Sunnah in offering solutions to the psychological and social crises experienced by modern individuals, confirming that the Prophetic discourse remains relevant and applicable as both a preventive and therapeutic approach in contemporary societies.

المقدمة

شهدت المجتمعات الإنسانية على مر العصور أزمات متعددة، تنوعت بين الكوارث الطبيعية، والنزاعات الاجتماعية، والأزمات النفسية، مما فرض على القيادات الدينية والاجتماعية تبنّي خطابات تهدف إلى التهدئة، وتوجيه الأفراد نحو الثبات والصبر والأمل. وفي هذا السياق، يُعد الخطاب النبوي المحمدي نموذجًا فريدًا في معالجة الأزمات بما يحمله من توجيهات روحية، ومعاني إنسانية، وأساليب نفسية راقية.

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على طبيعة الخطاب النبوي في أوقات الأزمات، من خلال تحليل لغوي وسياقي لبعض خطبه ﷺ وأحاديثه، والوقوف على أثرها في تعزيز الأمن النفسي لدى الأفراد، والاستقرار الاجتماعي في الجماعات. كما تُقارن الدراسة ذلك بخلفيات من علم النفس والاجتماع الحديث لإبراز مواطن الإعجاز في التوجيه النبوي، وفعاليته المستمرة في العصر الحاضر.

وتبرز أهمية هذا البحث في الحاجة الماسّة إلى استلهام مناهج أصيلة لمواجهة التحديات النفسية والاجتماعية، خاصة في زمن تتعاظم فيه الأزمات على المستوى الفردي والجماعي، الأمر الذي يجعل العودة إلى الهدي النبوي ضرورة فكرية وإنسانية.

واشتمل هذا البحث على:

مقدمة البحث

مفاهيم أساسية (تعريف الخطاب النبوي – الأزمة – الأمن النفسي والاجتماعي)

ملامح الخطاب النبوي في الأزمات

نماذج من مواقف نبوية في إدارة الأزمات

تحليل نفسي واجتماعي للخطاب النبوي

مقارنة مع بعض نماذج الدعم النفسي الحديثة.

مشكلة البحث وأهميته وأهدافه

مشكلة البحث:

على الرغم من وفرة الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة، إلا أن كثيرًا منها يُغفل الجانب الروحي والديني في دعم الأفراد خلال الأزمات، بينما تقدم السنة النبوية خطابًا متكاملاً في الأزمات، يجمع بين التوجيه النفسي، والدعم الاجتماعي، والتحفيز الإيماني، مما يستدعي دراسة هذا الخطاب وتحليله في ضوء ما يواجهه الإنسان المعاصر من ضغوط.

أهمية البحث:

١. إبراز الدور المتكامل للخطاب النبوي في بناء الأمن النفسي والاجتماعي في زمن الأزمات.
٢. تقديم رؤية شرعية معاصرة تستند إلى النص النبوي وتتكامل مع علم النفس والاجتماع الحديث.
٣. تعزيز الوعي بقدرة الخطاب الديني على الإسهام الفاعل في التوازن النفسي للمجتمعات.
٤. فتح مجال جديد للدراسات البينية بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية الحديثة.

أسباب اختيار الموضوع:

- الحاجة إلى حلول أصيلة ومعاصرة لمواجهة الأزمات النفسية والاجتماعية المتكررة.
- الإيمان الشخصي بقوة الأثر النبوي في تهدئة المجتمعات وتسكين آلام الأفراد في لحظات الخوف والانهيار.

أهداف البحث:

١. تحليل أبرز الملامح النفسية والاجتماعية في الخطاب النبوي وقت الأزمات.
٢. استكشاف أثر التوجيه النبوي في تعزيز الأمن النفسي لدى الأفراد.
٣. الكشف عن منهج النبي ﷺ في مخاطبة الجماعة وقت الشدة، ومدى تأثيره في حفظ النسيج المجتمعي.
٤. مقارنة بعض جوانب الخطاب النبوي بمفاهيم الدعم النفسي الحديث.

المبحث الاول
التعريف بالمفاهيم الأساسية

أولا: الأزمة

الأزمة في اللغة مأخوذة من الجذر(أزم)، وتدل على الشدة والضيق، وهي نقطة تحول حادة في الوضع الطبيعي تؤثر في التوازن(١).

اصطلاحًا، فهي: «حالة مفاجئة من الاضطراب تؤثر في الفرد أو المجتمع، وتولد شعورًا بالتهديد أو الخطر، وتحتاج إلى استجابة نفسية أو سلوكية عاجلة»(٢).

ثانيا: الخطاب النبوي

الخطاب: الكلام الموجّه إلى الغير بقصد الفهم، من الفعل «خاطب»، ويقال: «خاطبته مخاطبة وخِطابًا»(٣).

نَبَأ: يدل على الإخبار والظهور، والنبي مشتق من «نبأ» أي أَخبر. فالنبوّي: ما كان منسوبًا إلى النبي، أو إلى الوحي والإعلام(٤).

أما الخطاب النبوي هو: «جميع الأقوال والتوجيهات والمواقف التي صدرت عن النبي محمد ﷺ، والتي وجّهها إلى الأفراد أو الجماعات، بقصد الإرشاد أو الإصلاح أو المواساة أو التوجيه». ويتميز هذا الخطاب بالشمول، والعاطفة، والحكمة، والواقعية، وهو ما يجعله نموذجًا في إدارة الأزمات(٥).

ثالثا: الأمن النفسي

الأمن النفسي هو: «الشعور الداخلي بالسكينة والطمأنينة والثقة، الناتج عن غياب مشاعر الخوف والقلق والتوتر، وشعور الفرد بالقبول والاحترام والتقدير».(٦)

رابعا: الأمن الاجتماعي

يقصد بالأمن الاجتماعي: «حالة التوازن والاستقرار التي تسود المجتمع نتيجة وجود العدالة، وتوفر

(١) لسان العرب،ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ج١، صـ ١٢٧، دار المعارف، القاهرة.
(٢) الصحة النفسية والعلاج النفسي، حامد زهران، القاهرة: عالم الكتب، ط٧، ٢٠٠٥م، صـ ٤٠١.
(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج2، صـ 930، دار الفكر، بيروت.
(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج٥، صـ ٤١٣، دار الفكر، بيروت.
(٥) خصائص الخطاب النبوي، عبد الحميد طهماز، دمشق: دار القلم، ط١، ٢٠٠٧م، صـ ١٥.
(٦) علم النفس الاجتماعي، إبراهيم محمد نجا، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٣م، صـ ١٨٩.

الحقوق، وانتشار الطمأنينة بين الأفراد، مما ينعكس على العلاقة بينهم وبين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية»[١].

خامسا: العلاقة بين الخطاب النبوي والأمن

يُظهر تحليل الخطاب النبوي أن النبي ﷺ لم يكتفِ بالتوجيه العقائدي، بل استخدم خطابًا متوازنًا يدعم النفس، ويقوي الجماعة، ويزيل أسباب الخوف والاضطراب، وهو ما يحقق الأمن بشقيه النفسي والاجتماعي[٢].

المبحث الثاني
ملامح الخطاب النبوي في الأزمات

في هذه الفقرة تتبين أهم الخصائص والسمات التي تميز خطاب النبي ﷺ في الأزمات، مع الاستدلال على كل ملمح بنص نبوي وتحليل علمي.

أولا: الواقعية والبعد عن التهويل

كان خطاب النبي ﷺ في الأزمات واقعيًا، لا يُهوّل الأمور، ولا يُقلل من شأنها، بل يضعها في حجمها الحقيقي مع التوجيه المناسب. ففي غزوة الأحزاب حين اشتد الخوف وبلغت القلوب الحناجر، خاطب النبي ﷺ أصحابه قائلاً:

«اللهم إنهم جاؤونا، لا يريدون إلا قتالًا، فاحفظنا كما وعدتنا»، ثم قال: «أبشروا يا معشر المسلمين، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين» (أي النصر أو الشهادة).

هذا التوازن بين الواقعية وبثّ الأمل ساهم في تهدئة النفوس[٣].

ثانيا: استحضار النماذج السابقة

كان من سمات الخطاب النبوي في الأزمات أنه يستحضر قصص الأنبياء وأهل الإيمان السابقين، لتثبيت الصحابة، ففي حصار الطائف، قال ﷺ: «قد كان فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعل فيه، ثم يُؤتى بالمنشار...» وهو خطاب يُعطي البعد التاريخي والقدوة في الثبات والصبر[٤].

(١) مدخل إلى علم الاجتماع الإسلامي، محمد عثمان الخشت، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠١م، صـ ٢٢٧.
(٢) الرسالية في الخطاب الإسلامي، أحمد الريسوني، بيروت: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٥م، صـ ٨٨.
(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، بيروت: دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٤م، ج٣، صـ ٢١٦.
(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين، حديث رقم ٣٦١٢، دار

ثالثا: الدعاء كوسيلة للدعم النفسي

الدعاء في الأزمات كان عنصرًا مركزيًا في خطاب النبي ﷺ، ليس فقط كعبادة، بل كوسيلة دعم نفسي تُربط الفرد بالقوة الإلهية. في بدر، رفع النبي ﷺ يديه حتى سقط رداؤه، وهو يقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض...»

هذا النوع من الدعاء العلني كان يبعث الاطمئنان في قلوب الصحابة[1].

رابعا: التحفيز الجماعي والتشجيع

كان النبي ﷺ يستخدم خطاب التحفيز ورفع المعنويات، مثل قوله يوم الخندق: «الله أكبر، أُعطيت مفاتيح الشام! والله إني لأبصر قصورها الحمراء من مكاني»[2]، وهو في لحظة حفر الخندق تحت التهديد والبرد والجوع.

هذا الخطاب المستقبلي الإيجابي كان يبعث الأمل في النفوس ويقوي الجماعة.

خامسا: خطاب شامل لجميع طبقات المجتمع

لم يكن الخطاب النبوي في الأزمات موجهًا إلى القادة فقط، بل إلى النساء، والصبيان، والضعفاء، كما فعل ﷺ حين خاطب النساء بعد صلح الحديبية قائلاً: «قوموا فاحلقوا، لا يدخلن عليكم الحزن»[3]، إشارة إلى أنه يتعامل مع المجتمع كوحدة نفسية متماسكة.

المبحث الثالث
نماذج نبوية في إدارة الأزمات: دراسة تحليلية

في هذه الفقرة، نستعرض نماذج من السيرة النبوية لأزمات مرّ بها النبي ﷺ، وبيان خطابه فيها وتحليل أساليبه النفسية والاجتماعية، مع ادراج النصوص النبوية.

طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(١) صحيح، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، حديث رقم: ٣٩٥٣، ٤/ ٤٠.

(٢) صحيح، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، حديث رقم ٤١١٢، ٤/ ١٤٥.

(٣) صحيح، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، حديث رقم ٢٧٣١، ٣/ ١٩٦.

أولا: غزوة بدر – الأزمة الأولى للدولة الناشئة

الوضع: كان المسلمون قلة في العدد والعدة، مقابل جيش قريش المتفوق، والقلق يسود المعسكر المسلم.

النموذج النبوي: ثبت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «قال رسول الله ﷺ يوم بدر وهو في قبةٍ: (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم أبداً). فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك. فخرج وهو يقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)»(١).

التحليل: الدعاء النبوي هنا بلغ أعلى درجات التضرع، ما يعكس إدراك النبي ﷺ لهول الموقف، لكنه في الوقت ذاته يتلو آية فيها وعد بالنصر، مما يعزز الثقة والطمأنينة.

ثانيا: غزوة الخندق – حين اجتمعت الأزمات

الوضع: اجتمع على المدينة أكثر من عشرة آلاف مقاتل، انهارت التحالفات الداخلية، واشتد الجوع والخوف.

النموذج النبوي: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول: (والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينةً علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الأُلى قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنةً أبينا، أبينا)، ويرفع بها صوته، يقول: اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»(٢).

التحليل: اختار النبي ﷺ خطاب الشعر الحماسي في لحظة بناء الخندق، ليرفع به معنويات الصحابة، ويعيد توجيههم نحو المعنويات العليا (الآخرة والمغفرة)، في مزيج من الدعاء والتحفيز.

ثالثا: عام الحزن – فقدان السندين

الوضع: وفاة زوجته خديجة، ثم عمه أبي طالب، واشتداد الحصار والاضطهاد، ثم خروجه للطائف وتعرضه للأذى الجسدي والمعنوي.

النموذج النبوي: جاء في دعائه ﷺ المشهور بعد خروجه من الطائف: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي،

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة، حديث رقم ١٧٦٣، دار الفكر، ج٣، صـ ١٤٠٢.

(٢) رواه البخاري، صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، حديث رقم ٤١٠٤، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك[1]»[2].

التحليل: هذا الدعاء يكشف عمقًا نفسيًا نادرًا في الخطاب النبوي: اعتراف بالضعف دون انهزام، لجوء لله دون يأس، وتحويل الألم إلى دعاء متزن مشبع بالتوكل.

رابعا: صلح الحديبية – إدارة غضب الجماعة

الوضع: بنود الصلح بدت ظالمة ظاهريًا للمسلمين، مما أثار سخط الصحابة.

النموذج النبوي: عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: «فقال عمر: يا رسول الله، ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: أليسوا على الباطل؟ قال: بلى. قال: فلم نعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»[3].

التحليل: اختار النبي ﷺ خطاب الحُجّة الشرعية لا الانفعال، وثبت على الموقف رغم الحزن العام، مما حفظ وحدة الصف وحقق مصلحة استراتيجية عليا لاحقًا.

المبحث الرابع
التحليل النفسي والاجتماعي للخطاب النبوي

يتميز الخطاب النبوي في الأزمات ببُعد إنساني عميق، يجمع بين الاستجابة العاطفية والمعالجة العقلية، ويحقق أثرًا نفسيًا واجتماعيًا متكاملاً. وفيما يلي تحليل لأبرز جوانب هذا الأثر:

أولا: الخطاب النبوي أداة تهدئة وتفريغ نفسي

من وظائف الخطاب النبوي في الأزمات أنه يعمل على تفريغ التوتر والانفعالات الداخلية بطريقة إيمانية راقية، كما في دعائه ﷺ يوم الطائف:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي...»[4].

هذا النموذج من الدعاء يُعدّ ما يشبه الفضفضة العلاجية (Catharsis) التي يستخدمها علم النفس

(١) حديث صحيح، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير،ج٢٠، صـ ٨٥، والهيثمي في مجمع الزوائدج٦، صـ ٣٥. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، حديث رقم ٢٩٣٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن إسحاق، نقله ابن هشام، ج١، صـ ٤٢٠، دار المعارف.

(٣) رواه البخاري، صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، حديث رقم ٢٧٣١.

(٤) (تم تخريج الحديث ص١٠)، السيرة النبوية، ابن هشام، ج١، صـ ٤٢٠، دار المعارف.

الحديث في تفريغ المشاعر السلبية، ولجأ النبي ﷺ إلى مخاطبة الله بدلاً من الانفعال الخارجي، وبهذا علّم أمته ضبط الانفعالات في الأزمات(١).

ثانيا: استعمال التوجيه الجمعي لخلق التضامن الاجتماعي

في لحظات الخطر، كان النبي ﷺ يُخاطب الجماعة لا الأفراد، ويُحيلهم إلى مفهوم الأمة الواحدة، كما في قوله يوم الخندق: «اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»(٢).

وهذه الطريقة تؤدي إلى خلق شعور بالانتماء والمسؤولية الجماعية، وهو ما يعرف في علم الاجتماع بـ «التكافل الجمعي Collective Solidarity».(٣)

ثالثا: الخطاب النبوي يُنمّي الأمل والمرونة النفسية

النبي ﷺ لم يترك أتباعه في دائرة الخوف، بل زرع فيهم الأمل والاطمئنان. كما قال يوم الخندق: «أُعطيت مفاتيح الشام... إني لأبصر قصورها الحمراء...»(٤).

يُعد هذا النوع من الخطاب محفّزًا لما يُعرف بـ المرونة النفسية (Psychological Resilience)، أي القدرة على التكيّف مع المحن وعدم الانهيار أمامها(٥).

رابعا: احتواء الغضب الجماهيري بالحكمة والهدوء

عندما غضب الصحابة من شروط صلح الحديبية، خاطبهم النبي ﷺ بخطاب متزن: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»(٦).

لم يتحدّهم، ولم يُصدر أوامر، بل استخدم خطابًا إيمانيًا مسؤولًا يحتوي الجماعة، وهو أسلوب يُعرف في الإدارة الحديثة بـ «امتصاص الغضب الجماعي» من خلال إقناع داخلي لا فرض خارجي(٧).

(١) الطب النفسي المعاصر، أحمد عكاشة، القاهرة: دار الشروق، ط٣، ٢٠٠٥م، صـ ٣١٢.
(٢) تم تخريجه ص٩.
(٣) تقسيم العمل الاجتماعي، إميل دوركايم، ترجمة عزت قرني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ٩١.
(٤) تم تخريجه ص٨.
(٥) علم النفس الإيجابي والتعافي بعد الصدمة، ريتشارد تيديش، ترجمة د. محمد عثمان، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠١٤م، صـ ١٠٣.
(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب في النصر والاتباع، حديث رقم ١٨٢١، ٢/٨٨٦.
(٧) العادات السبع للناس الأكثر فاعلية، ستيفن كوفي، بيروت: مكتبة جرير، ٢٠٠٢م، صـ ٢٢٣.

المبحث الخامس
مقارنة بين الخطاب النبوي ومفاهيم الدعم النفسي الحديث

تُظهر الدراسات النفسية الحديثة مجموعة من المبادئ الأساسية للدعم النفسي في الأزمات، مثل: التهدئة، تعزيز الشعور بالأمان، بناء الثقة، تنشيط الأمل، وتقديم الدعم الاجتماعي. وعند مقارنة هذه المبادئ بالخطاب النبوي في الأزمات، نُدرك مدى تقدّم السنة النبوية في تطبيق هذه المبادئ بشكل متكامل، فطري، وإنساني. وفيما يلي عرض لمجموعة من هذه المقارنات:

أولا: التهدئة وإعادة التوازن النفسي

- في الدعم النفسي الحديث: يعتمد الأخصائيون على تقنيات «تهدئة الطوارئ النفسية» Psychological First Aid)) بإعادة الطمأنينة للمصابين عبر الحديث الهادئ، والاستماع، والاطمئنان(١).

- في الخطاب النبوي: نجد النبي ﷺ يقول يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض بعد اليوم»(٢) ثم يُطمئن الصحابة بآية: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}(٣).

ثانيا: الدعم الاجتماعي والتكافل النفسي

- في علم النفس الإيجابي: يشدد الباحثون على أن المجتمعات التي توفر شبكة دعم اجتماعية قوية، تتضائل فيها آثار الأزمات النفسية.

- في السنة النبوية: كان النبي ﷺ يقول في الشدائد: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم» ويوجه خطابه للأمة جمعاء لا للفرد فقط، مما يولد بيئة من التكافل والانتماء(٥).

ثالثا: تنشيط الأمل وتعزيز المرونة النفسية

- في العلاج المعرفي السلوكي: يُستخدم «إعادة البناء المعرفي» لتغيير نظرة الفرد السلبية للأزمة وتحفيزه على التفكير الإيجابي.

- في خطاب النبي ﷺ: قال عند حفر الخندق: «أُعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها

(١) الدليل الميداني للدعم النفسي الأولي، مايك رايان، منظمة الصحة العالمية، ٢٠١١م، صـ ٢٣.
(٢) تم تخريجه ص٧.
(٣) سورة القمر: ٤٥
(٤) حديث حسن، سنن الترمذي، جامع الترمذي، كتاب البر وصلة والآداب، حديث رقم ١٩٢٤.
(٥) The How of Happiness، سونيا ليوبوميرسكي، New York: Penguin, 2008، صـ 189.

الحمراء»[1] على الرغم من الجوع والخوف والعدو المتربص، أعطاهم صورة مستقبلية إيجابية[2].

رابعا: توظيف البعد الروحي في تخفيف الألم

– في الطب النفسي الحديث: تؤكد بعض المدارس (مثل العلاج بالقبول والالتزام ACT) أهمية القيم الروحية في تجاوز الصدمة.

– في الخطاب النبوي: قال ﷺ في الطائف: «إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي...» رابطٌ صريح بين الرضا الإلهي وتحمّل الشدة[4].

نتائج وتوصيات البحث

– أولًا: النتائج

بعد استعراض النماذج النبوية وتحليل الخطاب المستخدم في أوقات الأزمات، ومقارنته مع مبادئ الدعم النفسي والاجتماعي الحديث، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. الخطاب النبوي يُعدّ نموذجًا متكاملاً في إدارة الأزمات، يجمع بين الاستجابة الروحية، والدعم النفسي، والتوجيه الاجتماعي.

٢. استخدم النبي ﷺ وسائل متعددة لاحتواء الأزمات مثل الدعاء، التطمين، التحفيز، الحوار، واستحضار النموذج، مما جعله خطابًا مرنًا وفعالًا.

٣. يمتاز الخطاب النبوي بالحكمة والواقعية، فهو لا يُنكر المشاعر، بل يُوجهها، ولا يُهوّل المواقف، بل يُعالجها بهدوء وثبات.

٤. الخطاب النبوي في الأزمات يعزز الانتماء الجماعي من خلال تعميم الرسائل، والتركيز على الجماعة لا الفرد فقط، وهو ما يُقلل من مشاعر العزلة والخوف.

٥. تطابقت العديد من مضامين الخطاب النبوي مع مفاهيم علم النفس الحديث، مثل التفريغ النفسي، تعزيز المرونة، بناء الأمل، والاحتواء الانفعالي، مما يدل على سبق السنة النبوية في هذا المجال.

– ثانيًا: التوصيات

١. دعوة المؤسسات التربوية والدينية إلى تدريس الخطاب النبوي في سياق الأزمات، وربطه بمفاهيم علم

(١) تم تخريجه ص ١٠.
(٢) العلاج المعرفي للاكتئاب، آرون بيك، ترجمة: سامي محمد جاد، الرياض: دار الخليج، ٢٠٠٣م، صـ ١٤٩.
(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ج1، صـ 420.
(٤) Acceptance and Commitment Therapy، ستيفن هايز، 2012، صـ 92.

النفس والاجتماع الحديث.

٢. إعداد برامج تدريبية للأخصائيين النفسيين والاجتماعيين تُبرز القيم الإسلامية في الدعم النفسي، وتُعيد الاعتبار للدين كعامل أساسي في معالجة الأزمات.

٣. تشجيع البحوث البينية التي تجمع بين النصوص الدينية والعلوم الإنسانية الحديثة لتطوير فهم أكثر شمولًا للإنسان.

٤. توظيف وسائل الإعلام في نشر الخطاب النبوي الإيجابي خاصة وقت الكوارث والفتن، لما له من أثر في بث الطمأنينة.

٥. ترجمة هذا النموذج من الخطاب إلى لغات العالم لنقله كإسهام إنساني عالمي في معالجة الأزمات النفسية والاجتماعية.

ثالثا: خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد هذه الجولة العلمية في رحاب الخطاب النبوي زمن الأزمات، تبيّن بوضوح أن السنة النبوية الشريفة لم تقتصر على التوجيه الديني المجرد، بل قدمت نموذجًا فريدًا في المعالجة النفسية والاجتماعية المتكاملة، يجمع بين الروح والعقل، الفرد والمجتمع، الماضي والمستقبل.

لقد أظهر البحث أن النبي محمدًا ﷺ كان في مواقفه وخطاباته وقت الأزمات قائدًا نفسيًا، ومصلحًا اجتماعيًا، ومعلمًا إنسانيًا، استطاع أن يحتضن القلوب، ويوجه العقول، ويثبت الأقدام في أوقات الفتن والخوف والانهيار. كما تبيّن أن كثيرًا من مبادئ العلاج النفسي والاجتماعي الحديث قد جسدها النبي ﷺ في مواقفه قبل أربعة عشر قرنًا، مما يدعو إلى إعادة استكشاف كنوز السنة النبوية وتفعيلها في معالجة أزمات الإنسان المعاصر.

وختامًا، فإن هذا البحث يُعد خطوة أولى في مسار طويل يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتفصيل، خاصة في الجوانب التطبيقية والعلاجية للخطاب النبوي، بما يسهم في بناء مجتمع آمن نفسيًا ومتوازن اجتماعيًا.

رابعا: قائمة المصادر والمراجع

١. أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢. أحمد الريسوني، الرسالية في الخطاب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٣. البخاري، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١،

١٤٢٢هـ.

٤. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٥. دوركايم، إميل، تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة عزت قرني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

٦. زهران، حامد، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٥م.

٧. عكاشة، أحمد، الطب النفسي المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٥م.

٨. علي، محمد عثمان الخشت، مدخل إلى علم الاجتماع الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٩. عيسى، إبراهيم محمد نجا، علم النفس الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

١٠. كارل روجرز، الذات الإيجابية وتقدير الذات، ترجمة أحمد خيري، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٩٨م.

١١. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.

١٢. النوي، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣. ابن إسحاق، السيرة النبوية، نقلها ابن هشام، دار المعارف، القاهرة.

١٤. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٤م.

١٥. طهماز، عبد الحميد، خصائص الخطاب النبوي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

16. Beck, Aaron. Cognitive Therapy of Depression. Guilford Press, 1979.

17. Hayes, Steven. Acceptance and Commitment Therapy. Guilford Press, 2012.

18. Lyubomirsky, Sonja. The How of Happiness. Penguin, 2008.

19. Rogers, Carl. On Becoming a Person. Houghton Mifflin, 1961.

20. WHO (World Health Organization), Psychological First Aid: Guide for Field Workers, 2011.